الفصل الثاني عشر

التوكل

من أعظم وأهم العبادات القلبية والقربات الباطنة الواجبة توكل العبد على ربه واعتماده بقلبه عليه وتفويضه الأمر إليه، والتوكل نصف الدين وعمل القلب وهو صفة ثابتة أصيلة للأنبياء والمرسلين وأتباعهم ومن سار على دربهم من المؤمنين الصادقين، وبه ينال العبد كفاية الله ورعايته، وحفظه إياه وعصمته له، وبه يزداد إيمانًا وكرامة وقربًا إلى الله جَلَّجَلَالُهُ، وبه يكون الثبات والتوفيق والسداد، والهداية والنصرة والرشاد، ومن حرم التوكل فهو حيران حائر، مخذول خاسر، متعثر متخبط تائه.

وما أحوجنا في هذا الآن إلى مدارسة معنى التوكل وإبراز حقيقته لنأخذ به في كل عمل وعبادة وطاعة فما لا يكون بالله لا يكون وما لا يكون لله لا ينفع ولا يدوم وسوف يكون الحديث عن التوكل على هذه الصفحات بإذن الله جَلَّجَلَالُهُ من خلال المحاور والعناصر الآتية:

تعريف التوكل

التوكل لغة: كما قال ابن منظور في لسان العرب: المتوكل على الله يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره، قال ابن سيده: وكل بالله وتوكل عليه واتكل استسلم إليه، يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به ووكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكَّل فلانٌ فلانًا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه، ووكل إليه الأمر سلَّمه[1].

(١) «لسان العرب» لابن منظور (١١/ ٧٣٤) ط. العبيكان.

وأما معنى التوكل اصطلاحًا: فهو صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الأخذ بالأسباب[١].

وقال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب. معنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات.

قال سهل: التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلًا؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلًا.

وقال ذو النون: هو ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه.

وقال بعضهم: التوكل التعلق بالله في كل حال وقيل: نفي الشكوك والتفويض إلى مالك الملوك[٢].

وقيل: التوكل قطع علائق القلب بغير الله.

وقيل: التوكل هجر العلائق ومواصلة الحقائق.

وقيل: التوكل هو التسليم لأمر الرب وقضائه.

وقيل: هو التفويض إليه في كل حال.

والقول الأول: الذي ذكرته عن الحافظ ابن رجب أوضح الأقوال وأظهرها لمعنى التوكل والله تعالى أعلم.

---

(١) «جامع العلوم والحكم» للحافظ ابن رجب ص [٥٥٧] ط. دار الحديث.

(٢) «مدارج السالكين» لابن القيم بانتقاء (١/ ٥٢٦-٥٢٨) ط. دار المنار.

obeikandi.com

أركان التوكل وحقيقته

من خلال ذكر التعريف السابق يتضح أن التوكل يبنى على ركنين لابد منهما لتحقيقهما:

الأول- الثقة في الله عَزَّوَجَلَّ وتمام الاعتماد عليه والاستسلام لحكمه وتفويض الأمر إليه واليأس مما في أيدي الناس وذلك يتأتى من خلال اعتقاد العبد أن الله جَلَّجَلَالُهُ هو الذي يملك النفع والضر وحده، وأن خزائن كل شيء بيده، وأن ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وأنه لا يحدث شيء في هذا الكون إلا بمشيئته وحده جَلَّجَلَالُهُ قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٧-١٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والناس كلهم فقراء محتاجون، عباد مقهورون لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، والملائكة الذين هم عباد الله المقربون والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لا يملكون لأحدٍ نفعًا ولا ضرًا إلا بإذن الله سبحانه الذي قال في كتابه: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧-٢٨]، والنبي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي هو سيد ولد آدم وإمام الأنبياء والمرسلين إنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا لأنه عبد من عباد الله وبشر من البشر لكنه سيدهم وقدوتهم وإمامهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال الله

تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [يُونُس: ٤٩]، وإذا قيل هذا في سيد الخلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يجب أن يوقن كل من آمن بالله أنه لا يملك النفع والضر وكشف البلاء والشفاء إلا الله جَلَّ جَلَالُهُ فلتقطع كل الآمال إلا في الله وحوله وقوته ولينقطع رجاؤك إلا في الله جَلَّ جَلَالُهُ فهو وحده الذي بيده كل شيء وكل من سواه لا يملك أي شيءٍ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

والركن الثاني من أركان التوكل والذي لا يصح ولا يكون إلا به هو الأخذ بالأسباب قال ابن القيم عليه رحمة الله: وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد.

قال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان فالتوكل حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والكسب سنته فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته[(١)].

والقرآن والسنة قد ورد فيهما أمثلة لا حصر لها على لزوم الأخذ بالأسباب.

ومن أمثلة ذلك قول يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ لأهل مصر: ﴿ فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴾ [يُوسُف: ٤٧]، قال ابن الجوزي: ﴿ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾ فإنه أبقى له وأبعد عن الفساد[(٢)]، وقال صديق حسن خان: ﴿ فَمَا حَصَدتُّمۡ ﴾ في كل سنة من السنين المخصبة ﴿ فَذَرُوهُ ﴾ أي: ذلك المحصود ﴿ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾ وقصبه ليكون القصب علفًا للدواب ولا تفصلوه عنها لئلا يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها[(٣)].

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٥٢٧)، ط. دار المنار.

(٢) «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ١٧٩)، ط. دار الكتب العلمية.

(٣) «فتح البيان في مقاصد القرآن» (٣/ ٤٢٥)، ط. دار الكتب العلمية.

ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ لمريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ [مَرْيَمَ: ٢٥-٢٦]. أمر الله مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ بأن تهز جذع النخلة ليتساقط عليها الرطب ليكون الهز سببًا لذلك برغم أنها امرأة في المخاض وحالها من الضعف لا يخفى ولو اجتمع عشرة رجال لهز النخلة ما استطاعوا ولكنه مجرد سبب يحصل به المقصود والله تعالى أعلم قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: استدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتومًا فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى أي سعي بأي شكل مباح؛ لأنه أمر مريم بهز النخلة وكانت الآية تكون بألا تهز[(١)].

ولله در من قال:

توكل على الرحمن في الأمر كله ... ولا تؤثرن العجز يومًا عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم ... وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها ... جنته ولكن كل رزق له سبب

ومن ذلك أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النِّسَاءِ: ٧١]. وكذلك قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأَنْفَالِ: ٦٠].

ومع يقيننا بأن الرزق مقدر مكتوب، لكن الله أمرنا بالسعي في طلبه وتحصيله، قال تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ [المُلْكِ: ١٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَةِ: ١٠].

وأعظم المتوكلين هو رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع ذلك كان يأخذ الزاد في السفر ويتقي الحر والبرد ولما خرج يوم أحد ظاهر بين درعين[(٢)]، ولبس البيضة على

(١) «الجامع لأحكام القرآن» [بتصرف] (٦/ ٨٨)، ط. دار الحديث.

(٢) كما روى ذلك أبو داود برقم [٢٥٩٠]، وابن ماجه برقم [٢٨٠٦]، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» [٢٣٣٢].

obeikandi.com

رأسه، وفي غزوة الأحزاب حفر مع الصحابة الخندق حول المدينة لرد عدوان قريش وأحلافها، وفي حادثة الهجرة استأجر هاديًا خريتًا يدله على الطريق[(١)]، وكمن في غار ثور ثلاثة أيام مع صاحبه الصديق حتى يهدأ الطلب والسنة مملوءة بهذا المعنى لمن فتش عنه وقصد الوقوف عليه، بل إن الإيمان والعبادة ما هي إلا أسباب لدخول جنة الله جَلَّجَلَالُهُ.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد قضى بحصول الشيء عند حصول سببه من التوكل والدعاء، فنصب التوكل والدعاء سببين لحصول المطلوب وقضى الله بحصوله إذا فعل العبد سببه، فإذا لم يأت بالسبب امتنع المسبب، وهذا كما قضى بحصول الولد إذا جامع الرجل من يحبلها، فإذا لم يجامع لم يخلق الولد.

وقضى بحصول الشبع إذا أكل، والري إذا شرب فإذا لم يفعل لم يشبع ولم يروا، وقضى بحصول الحج والوصول إلى مكة إذا سافر وركب الطريق فإذا جلس في بيته لم يصل إلى مكة، وقضى بدخول الجنة إذا أسلم وأتى بالأعمال الصالحة فإذا ترك الإسلام ولم يعمل الصالحات لم يدخلها أبدًا.

وقضى بإنضاج الطعام بإيقاد النار تحته، وقضى بطلوع الحبوب التي تزرع بشق الأرض وإلقاء البذور فيها فما لم يأت بذلك لم يحصل إلا الخيبة.

فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها وحال بدنه قيامه بها، فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية][(٢)].

---

(١) كما في البخاري في كتاب «الإجارة» برقم [٢٢٦٣].

(٢) «المدارج» (١/ ٥٣٠-٥٣١) باختصار.

حكم التوكل

التوكل على الله فرض واجب على كل من آمن بالله وكذلك هو شرط من شروط الإيمان قال الله تبارك تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢١٨]. وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٣]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد باب، قول الله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فيه مسائل الأولى- أن التوكل من الفرائض، الثانية- أنه من شروط الإيمان.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: وأراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى؛ فإن تقديم المعمول يفيد الحصر أي وعلى الله فتوكلوا، لا على غيره فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة فإذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل من سواه صحَّ إخلاصه ومعاملته مع الله تعالى[1].

فضائل التوكل

من مقتضيات عقيدة المؤمنين الصادقين أنهم على ربهم يتوكلون، وعليه سبحانه يعتمدون بقلوبهم، يرجعون إليه في جميع أمورهم، فهم لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يرغبون إلا إليه؛ وذلك لعلمهم ويقينهم بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله سبحانه هو المتصرف في الملك وحده ولا منازع لحكمه ولا رادَّ لقضائه وأمره،

(١) «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد».

ومما يحث على التوكل وعلى زيادته في القلب تعلم فضائله ومعرفة ثمراته والوقوف على فوائده ونتائجه الكريمة العظيمة، ومن فضائل التوكل ما يلي:

١- من توكل على الله كفاه:

الله أكبر يا لها من ثمرة تجعل العاقل حريصًا كل الحرص على تحقيق التوكل في شئون حياته كلها، قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطَّلَاق: ٣]، فهو حسبه: أي كافيه، من توكل على الله القوي القادر، العزيز القهار الفعال لما يريد فإن الله تعالى يكفيه كل ما أهمه كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٣٦]، وهذا استفهام إنكار على طالب الكفاية من غير الله والتارك للتوكل عليه سبحانه وبحمده، قال ابن القيم في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلَاق: ٣]، أي كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لابد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، أما أن يضره بما يبلغ به مراده منه فلا يكون أبدًا، وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء وفي الحقيقي إحسان، وبين الضرر الذي يتشفى به منه، قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه، وجعل التوكل عليه نفس كفايته فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ فلم يقل له كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال بل جعل نفسه سبحانه كافيًا عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السماوات والأرض ومن فيهن لجعل الله له مخرجًا وكفاه رزقه ونصره[(١)].

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفَال: ٤٩]. أي: عزيز لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ إليه، حكيم لا يقصر عن تدبير من توكل عليه في تدبيره، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٦٥).

عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]. بين الله تعالى أن كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم؛ فكيف يتوكل عليه؟!(١).

ومما يدل على أن الله عَزَّوَجَلَّ يحفظ من توكل عليه قول الله جَلَّجَلَالُهُ عن مؤمن آل فرعون الذي جهر بالحق بعد أن كان يكتم إيمانه ودافع عن رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام ولكنه قال كلمة الحق عند هذا السلطان الجائر متوكلًا على ربه مفوضًا أمره إليه فحماه الله وحفظه من كيد فرعون وقومه قال الله تعالى عن هذا العبد الصالح: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٤-٤٥].

٢- التوكل عصمة ونجاة من الشيطان وكيده:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٩]. فليس للشيطان تسلط قط على أهل الإيمان والتوكل، ومن صدق في توكله اندفع عنه كيد الشيطان ووسوسته وشره وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٥]. وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قال يعني إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هديت وكفيت ووقيت وتنحَّى عنه الشيطان**»(٢). وفي زيادة لأبي داود «**فيقول يعني الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي**» لقد صار هذا المتوكل على ربه في حصن، حصين وحرز مكين من كيد الشياطين وكفى بحفظ الله حفظًا وكفى بوقاية الله وقاية!! واسمحوا لي أن أتساءل معكم: هل إذا خرجت من بيتك تحافظ

(١) «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي (٤/ ٣٥٤)، ط. دار المنار.

(٢) رواه أبو داود برقم [٥٠٩٥]، والترمذي برقم [٣٤٢٦]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٤١٩].

obeikandl.com

على هذا الذكر؟! هل تستعين بالله تعالى عند خروجك من بيتك وتتسلح بهذه الوقاية الحصينة؟! ليتك تداوم عليه فتحفظ وتكفى وتعصم!

٣- توكلك على الله سبيلك إلى جنته:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**»(١)، قال الإمام النووي عليه رحمة الله: مثلها في رقتها وضعفها كالحديث الآخر «**أهل اليمن أرق قلوبًا وأضعف أفئدة**» وقيل: في الخوف والهيبة، والطير أكثر الحيوان خوفًا وفزعًا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر:٢٨]، وكأن المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف في شدة خوفهم وقيل: المراد متوكلون(٢).

وإذا صدق العبد في تحقيق التوكل وعاش به وعليه فإن ذلك يؤهله ويوصله إلى درجات كريمة عالية وذلك بأن يكون مع السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وإنما كان ذلك ثوابهم لكمال توكلهم على الله جَلَّ جَلَالُهُ والحديث في ذلك مشهور معروف وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: لعلهم الذين صحبوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**ما الذي تخوضون فيه؟**» فأخبروه فقال: «**هم الذين لا يسترقون ولا**

---

(١) رواه مسلم برقم [٢٨٤٠].

(٢) شرح النووي على مسلم (٩/ ١٩٤-١٩٥)، ط. دار الحديث.

يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت منهم**» ثم قال رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «**سبقك بها عكاشة**»[(١)].

لا يسترقون أي: لا يطلبون من أحدٍ أن يقرأ عليهم، ولا يكتوون أي: لا يطلبون من أحدٍ أن يرقيهم، ولا يتطيرون أي: لا يتشاءمون بمرئيٍّ أو مسموع أو زمان أو مكان وذلك لقوة اعتمادهم على ربهم وكمال توكلهم عليه وعدم التفاتهم إلى سواه وعدم تعلق قلوبهم بغيره قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا من صفة الأولياء المعرضين عن الدنيا وأسبابها وعلائقها، وهؤلاء هم خواص الأولياء[(٢)]، التوكل من الإيمان يزيد بزيادته وكلما عظم توكل العبد على ربه كلما عظمت مكانته ومنزلته عند الله في جنته.

٤- سبيل السعة في الأرزاق:

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»[(٣)]، وحق التوكل بأن تعلموا يقينًا أن لا فاعل إلا الله، وأن لا معطي ولا مانع إلا هو ثم تسعون في الطلب بوجه جميل وتوكل، وليس معنى التوكل التبطل والتعطل بل لابد من التوصل بنوع من السبب لأن الطير ترزق بالسعي والطلب ولهذا قال الإمام أحمد: ليس في الحديث ما يدل على ترك الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق، وإنما أراد لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا

---

(١) رواه البخاري برقم [٥٧٥٢]، ومسلم برقم [٢١٦]، وعند مسلم لفظة «لايرقون» قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي وهم من الراوي وحكم عليها عدد من أهل الحديث بأنها لفظة شاذة قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرقي ورقاه جبريل وعائشة وكذلك الصحابة كانوا يرقون «القول المفيد» ص [٦٨]، ط. دار ابن الجوزي.

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٢٢٢) ط. دار الريان.

(٣) رواه الترمذي برقم [٢٣٤٤]، وابن ماجه برقم [٤١٦٤]، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [٣١٠].

أن الخير بيده لم ينصرفوا إلا غانمين سالمين كالطير[١]، إن هذه الطيور رزقها يوم بيوم، وليس لديها مخازن أو أي أسباب أخرى لحفظ القوت كما هو الحال عند الناس من وجود ثلاجات وأموال وأملاك وعقارات لكن قلوبهم مليئة بالقلق والخوف من فوات الرزق لأن النفوس الضعيفة التفتت إلى الأسباب ونسيت قدرة الله وعظمته وغناه، لذا فلنوقن أن من صدق في توكله وأخذ بالأسباب المتاحة رزقه الله من حيث لا يحتسب.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أخوان على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان أحدهما يأتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**لعلك ترزق به**»[٢]، هذان الأخوان كان أحدهما يأتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لطلب العلم والمعرفة والآخر يحترف أي يكتسب أسباب المعيشة فكأنهما كانا يأكلان معًا [فشكا المحترف] أي: في عدم مساعدة أخيه إياه في حرفته وفي كسب الآخر لمعيشته فقال: «**لعلك ترزق به**» بصيغة المجهول أي: أرجو وأخاف أنك مرزوق ببركته[٣].

ولله در الشافعي حين قال:

توكلت في رزقي على خالقي ... وأيقنت أن الله لاشك رازقي
وما كان من رزقي فليس يفوتني ... ولو كان في قاع البحار العوامق
سيأتي به الله العظيم بفضله ... ولو لم يكن مني اللسان بناطق
ففي أي شيء تذهب النفس حسرة ... وقد قسم الرحمن رزق الخلائق

٥- التوكل سبب لحب الله لعبده:

التوكل من أجل العبادات التي يتعبد بها المؤمن لربه فإذا توكل المرء على الله وفقه الله وسدده ولهذا قال العبد الصالح والنبي الكريم شعيب صلوات الله وسلامه عليه:

---

(١) «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» (٦/ ٢١٥)، ط. دار الحديث.
(٢) رواه الترمذي برقم [٢٣٤٥]، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» برقم [١٩١٢].
(٣) «تحفة الأحوذي» (٥/ ٢١٦).

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هُودٓ: ٨٨]. ومن توكل على ربه أحبه الله وكلما عظم التوكل وكان أصدق وأكثر كان حب الله للعبد أعظم وأكبر قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آلعِمْرَان: ١٥٩]، الله يحب أهل التوكل ويحب منك أن تتوكل عليه في كل أمرٍ فاصدق في توكلك على ربك تجد السداد والتوفيق وحب الله لك.

٦- التوكل من أخص أوصاف المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفَال: ٢]، فالمؤمنون حقًا هم الذين يعتمدون على ربهم ويتوكلون عليه في جلب مصالحهم ودفع ما يضرهم، وهم واثقون تمام الثقة بأن الله تعالى سيفعل ذلك، والتوكل هو الحامل للأعمال كلها فلا توجد ولا تكمل إلا به قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي: لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجنابه ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان[1].

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المَائِدَة: ١١].

٧- التوكل هو حال الأنبياء وصفتهم النبيلة الراسخة:

الصفة الثابتة الراسخة للأنبياء والرسل توكلهم على الله في كل أمرٍ وهم القدوة والأسوة التي جعلها الله للناس لتكون هاديًا لهم ودليلًا إلى ما يرضيه جَلَّ جَلَالُهُ، قال الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعَام: ٩٠]، وهذا شيخ الأنبياء نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول الله تعالى عنه ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٤/ ١١) ط. التوفيقية.

﴿تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يُونُسٓ: ٧١]، أي: إن كان مقامي عندكم وتذكيري إياكم ما ينفعكم بآيات الله الأدلة الواضحة البينة قد شق عليكم وعظم لديكم وأردتم أن تنالوني بسوء أو تردوا الحق ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدتُ على الله في دفع كل شرٍّ يراد بي وبما أدعو إليه فهذا جندي وعدتي، وأنتم فأتوا بما قدرتم عليه من أنواع العُدد والعدد ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾ أي كلكم بحث لا يتخلف منكم أحد ولا تدخروا من مجهودكم شيئًا وأحضروا شركاءكم الذين كنتم تعبدونهم وتوالونهم من دون الله رب العالمين ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: مشتبهًا خفيًا بل ليكن ذلك ظاهرًا علانية ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ أي: اقضوا عليَّ بالعقوبة والسوء الذي في إمكانكم ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي: لا تمهلوني ساعة من نهار، فهذا برهان ساطع وآية عظيمة على صحة رسالته وصدق ما جاء به حيث كان وحده لا عشيرة تحميه ولا جنود تؤويه، وقد بادى قومه بتسفيه آرائهم وفساد دينهم وعيب آلهتهم، وقد حملوا من بغضه وعداوته ما هو أعظم من الجبال الرواسي، وهم أهل القدرة والسطوة وهو يقول لهم: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم ومن استطعتم وأبدوا كل ما تقدرون عليه من الكيد فأوقعوا بي إن قدرتم على ذلك فلم يقدروا على شيءٍ من ذلك فعلم أنه الصادق حقًا وهم الكاذبون فيما يدعون[1].

وهذا نبي الله ورسوله هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذلكم النبي الكريم الذي أرسله الله عَزَّوَجَلَّ إلى أمة عاتية متجبرة متكبرة زهت بقوتها واستكبرت بشدة أبدان أهلها كما قال الله تعالى عنهم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فُصِّلَتْ: ١٥]. هؤلاء العتاة الغلاظ الشداد أرسل الله إليهم نبيه هودًا فدعاهم إلى الله وأقام عليهم الحجة، وكان من براهين صدقه توكله على ربه وعدم خوفه

(١) «تفسير السعدي» ص [٤١٤]، ط. دار ابن الجوزي.

من بطشهم وانظر إلى هذه الشجاعة الباهرة والتوكل الصادق على الله جَلَّجَلَالُهُ من هذا النبي الكريم عليه صلوات الله وسلامه، قال الله تعالى عنه: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هُود: ٥٤-٥٦]، يقول لهم إني بريء من جميع الأنداد والأصنام ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾ أي: أنتم وآلهتكم إن كانت حقًا ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾[(١)]، أي: طرفة عين وقوله ﴿مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: تحت قهره وسلطانه وهو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه فإنه على صراط مستقيم، وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صد ما جاءهم به وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر، ولا توالي ولا تعادي؛ وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له الذي بيده الملك وله التصرف وما من شيءٍ إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه فلا إله إلا هو ولا رب سواه[(٢)].

وهذا نبي الله شعيب يقول الله تعالى عنه: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هُود: ٨٨].

وهذا موسى الكليم الكريم عليه من ربه الصلوات والتسليم يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يُونُس: ٨٤-٨٥].

وحكى الله هذا التوكل عن أنبيائه ورسله فقال الله تعالى: ﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا

---

(١) أي: لا تؤخروني ولا تمهلوني.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٣٠)، ط. التوفيقية.

بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١١-١٢].

٨- التوكل على الله نصف الدين:

قال الإمام ابن القيم عليه رحمة الله: التوكل نصف الدين والنصف الثاني «الإنابة» فإن الدين استعانة وإنابة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، بل هو محض العبودية وخالص التوحيد إذا قام به صاحبه حقيقة[1]، وتجد أن الله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا ما يقرن بين الاستعانة والعبادة في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨]، وقال الله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٩]، تأمل في هذه الآيات تجد أنها تحتوي على الأمرين الاستعانة وهي التوكل والعبادة، والعبادة لا تتم ولا تكون إلا بالاستعانة بالله جَلَّجَلَالُهُ والتوكل عليه في فعلها.

٩- التوكل وصية الله وأمره لعباده:

لقد أمر الله عباده في كتابه الكريم بكل ما ينفعهم ويضمن لهم الحياة الكريمة والسعادة الدائمة في الدنيا والآخرة ومما أمر الله به عباده المؤمنين أن يتوكلوا عليه عَزَّوَجَلَّ في كل أمر، والآيات في هذا المعنى كثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾. [المائدة: ٢٣]

---

(١) «تهذيب مدارج السالكين» ص [٣٣٦]، ط. المكتبة القيمة.

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى آمرًا نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتوكل والأمة تبع له في ذلك لأن الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطاب لأمته إلا ما خصه الدليل قال الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

قال أبو قدامة الرملي: قرأ رجل هذه الآية: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فأقبل على سليمان الخواص فقال: يا أبا قدامة ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد بعد الله في أمره انظر كيف ؟ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ فأعلمك أنه لا يموت وأن جميع خلقه يموتون ثم أمرك بعبادته فقال ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ ثم أخبرك أنه ﴿ خَبِيرٌۢ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾ ثم قال: والله يا أبا قدامة لو عامل عبدٌ الله بحسن التوكل وصدق النية له بطاعته لاحتاجت إليه الأمراء فمن دونهم؛ فكيف يكون هذا محتاجًا وملجؤه إلى الغني الحميد[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]، أي: ثق به وفوض أمرك إليه فهو عزيز في نقمته رحيم لم يعجل بالعقوبة[(٢)].

إن أعظم مساعد للعبد على القيام بما أمر به الاعتماد على ربه والاستعانة بمولاه على توفيقه للقيام بالمأمور فلذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه فقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فإنه عزيز رحيم، بعزته يقدر على إيصال الخير ودفع الشر عن عبده وبرحمته يفعل ذلك[(٣)].

---

(١) «التوكل على الله» لابن أبي الدنيا ص [٧٠]، و «الإحياء» للغزالي (٤/ ٣٥٦).

(٢) «زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي (٦/ ١٤٨)، ط. المكتب الإسلامي.

(٣) «تفسير السعدي» باختصار يسير ص [٧٠١]، ط. دار ابن الجوزي.

obeikandl.com

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣]، وفي هذه الآية الأخيرة يخبر الله تعالى أنه عالم غيب السماوات والأرض وأنه إليه المرجع والمآب، وسيؤتي كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه فإنه كافٍ من توكل عليه وأناب إليه[(١)].

قدوات كريمة

هذه مشاهد من القدوة تتلألأ بنور التوكل وتفوح بعبير الإيمان وتبعث في النفس الاقتداء والاهتداء بأهل الفضل والسبق الذين اصطفاهم الله لهذه المواقف واصطفاها لهم فعرفوا بها وعرفت بهم وصاروا للناس مثالًا يحتذى وقدوة يقتدى بها ويسير الصالحون في ظلها مستهدين بنورها ومستدلين بآثارها، ولأن النفوس طبعت على التأسي فإنه ينبغي أن تكون أمامها القدوات الصادقة لتكون دليلًا لها على درب الإيمان والتقوى.

إمام المتوكلين وقدوة العالمين:

هذا هو نبينا ورسولنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرب للناس أروع مثل وأصدق قدوة في التوكل على الله جَلَّ جَلَالُهُ وكان من أسمائه التي دلت على هذا الوصف الكريم فيه صلوات الله وسلامه عليه اسم المتوكل والذي ذكر به في التوراة التي أنزلها الله على موسى والحديث في ذلك رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: إن هذه الآية التي في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين[(٢)]، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولايدفع

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٢٥٣).

(٢) أي: عصمة للعرب.

obeikandl.com

السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صُمًا وقلوبًا غلفًا[(١)].

والمتوكل هو اسم رسول الله ﷺ وصفته وحاله الذي كان عليه طيلة حياته وكان من دعائه صلوات الله وسلامه عليه ما ينطق بهذا المعنى الكريم والوصف العظيم لرسول الله محمد ﷺ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: «**اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحول، وبك أجول، وبك أصول، وبك أقاتل**»[(٢)].

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**»[(٣)].

وها هو نبينا ﷺ يعلم ابن عباس رضي الله عنهما ويعلم الأمة كلها ألا يكون توكلهم إلا على ربهم وخالقهم جل جلاله فيقول رسول الله ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[(٤)].

إنه لا يجوز لمؤمن أبدًا أن يلتفت بسؤاله وطلبه إلى غير الله أو أن يستعين بغير ربه وخالقه ومولاه، فلا يملك النفع والضر إلا الله وهو الذي بيده ملكوت كل شيء ومقاليد

---

(١) رواه البخاري برقم [٤٨٣٨].

(٢) رواه أبو داود برقم [٢٦٣٢]، والترمذي برقم [٣٥٨٤]، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» برقم [٢٣٦٦].

(٣) رواه مسلم برقم [٢٧١٧].

(٤) رواه الترمذي برقم [٢٥١٦]، وأحمد (١/ ٣٠٧)، وصححه الألباني في «المشكاة» برقم (٥٣٠٢).

obeikandi.com

كل شيءٍ، ولا يغيب عن سمعه وبصره شيءٍ وذلك؛ لأنه رب كل شيءٍ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ثم تأمل واعتبر وتعلم -أيها الحبيب- من هذا المشهد الكريم العظيم وذلك حينما خرج النبي ﷺ من مكة مهاجرًا إذ بقريش تعلم النبأ فيجن جنونها ويشتد غضبها، ويرصد سادتها مكافأة مالية كبيرة لمن جاء برسول الله ﷺ أو دلهم عليه وينطلق الباحثون في دروب الصحراء بحثًا عن هذا الركب الكريم حتى يصل جمعٌ منهم إلى باب الغار الذي كمن فيه رسول الله ﷺ والصديق وفزع الصديق لما رأى القوم قريبين جدًا منهم، بل لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآهما، ولكن رسول الله ﷺ كان هادئ القلب، مطمئن الفؤاد وقال لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، وفي الصحيحين من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا فقال: «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**»[1]، إنه التوكل على الله في صورته الرائعة الكريمة الصادقة التي ينبغي أن تكون أسوة لنا في حياتنا كلها، ثم خذ هذا المثال الذي يروي القلب بالإيمان كسابقه، إن رجلًا أعرابيًا كافرًا وجد النبي ﷺ قد نام في ظل شجرة وعلق سيفه بها وقد تفرق الناس يستظلون بالشجر، فأخذ الأعرابي السيف بيده وقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال له رسول الله ﷺ بكل طمأنينة وثبات: «الله» فسقط السيف من يد الرجل وكان ما

(١) رواه البخاري برقم [٣٦٥٣]، ومسلم برقم [٢٣٨١].

أذكره في هذا الحديث التالي: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه غزا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَل نجد فلما قفل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قفل معهم فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه فنزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت سمرة فعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال: «**إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله -ثلاثًا**» ولم يعاقبه وجلس[1].

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي قال: من يمنعك مني؟ قال: «**الله**» قال: «**فسقط السيف من يده**» فأخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السيف فقال: «**من يمنعك مني؟**» فقال: كن خير آخذ فقال: «**تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟**» قال: لا ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فأتى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

لقد ضرب الحبيب المصطفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أروع مثل في صدق التوكل على الله، تأمل كيف كان وحده في كفة، والعالم كله في كفة أخرى، تأمل كيف واجه صناديد الكفر داخل مكة وخارجها، وكيف استطاع أن يقيم للإسلام دولة من فتات متناثر وكيف جمع القلوب حوله، وكيف نهض بهم وسار إلى البلاد يفتحها وينشر فيها الحق والنور والهدى، وكيف حول القلوب الصلدة الجامدة الجافية إلى ينابيع هداية لقد كانت حياة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها توكلًا على ربه وثقة به واستعانة به جَلَّ جَلَالُهُ ولنا فيه خير أسوة وأعظم قدوة صلوات الله وسلامه عليه.

توكل الخليل:

وهذا خليل الرحمن إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفوض أمره إلى الله ويصدق في توكله على مولاه ولا يلتفت بقلبه إلى غير ربه الذي خلقه وسواه، ويستعين به وحده ويلجأ إليه وحده قائلًا «حسبي الله ونعم الوكيل» وذلك حين تجتمع عليه جموع الكفر المتغيظة

(١) رواه البخاري برقم [٢٩١٠]، ومسلم برقم [٨٤٣].

obeikandl.com

لتلقي به في النار تخلصًا من دعوته وطمسًا للتعاليم العظيمة التي جاء بها للناس من توحيد الله وعبادته لئن تخلى كل أهل الأرض جميعًا عن عبد الله ورسوله فهناك ربه يحفظه ويرعاه وييسر له أسباب النجاة ويرد كيد الكافرين ويذهب مكرهم سُدى وكفى بحفظ الله حفظًا، وكفى بالله هاديًا وناصرًا ووكيلًا، في صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل[1]، وفي رواية أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار «حسبي الله ونعم الوكيل» فلما قالها كان الحفظ وكانت الكلاءة والرعاية والعناية، ووقعت المعجزة الباهرة وجعل الله النار المحرقة الملتهبة بردًا وسلامًا على رسوله وخليله إبراهيم عليه السلام، كما قال الله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠].

أستاذة التوكل الأولى:

ومن بيت الطهر والإيمان، ومن بيت اليقين والتقوى والتوكل من بيت الخليل يأتينا هذا المشهد الذي يدهش العقول ويبهر الألباب، إنه موقف عظيم ينطق بالإيمان الصادق، ويظهر فيه التوكل على الله في صورة نادرة، لا تكاد تراها في الدنيا إلا في مثل هذا البيت الكريم بيت الخليل إبراهيم، وأرجو أن تتأمل المشهد جيدًا لتصل عظته وبركته إلى القلب، فيزداد به إيمانًا ولتكون لنا به أسوة وقدوة روى البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاء إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأم إسماعيل وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنس

(١) رواه البخاري برقم [٤٥٦٣].

ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها، قالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم قالت: إذًا لن يضيعنا ثم رجعت[١]، والحديث بطوله في صحيح البخاري وفيه خبر تفجر عين زمزم، والشاهد في الحديث قولها: آلله أمرك بهذا؟ إذًا لن يضيعنا مادام الله هو الذي أمرك وما دمنا بهذا نستسلم لأمره فلن يضيع الله أبدًا من أطاعه واتقاه، ومهما كانت المخاوف ومهما كانت وحشة المكان فإن الله ينزل على قلب العبد سكينة وبرد يقين يثبته به، إنك حين تتأمل في هذا المشهد ترى امرأة مؤمنة موقنة تُترك وحدها في صحراء مقفرة موحشة ليس فيها إنس ولا أنس، وليس بها شيءٌ من مقومات الحياة وأسبابها وما معها إلا جراب فيه تمر وسقاء فيه ماء، تُرى لو نفد هذا الماء وهذا التمر ماذا تصنع؟! أرأيت لو خرج عليهم سبع أو وحش كاسر أو قاطع طريق مجرم كيف تصنع؟! وماذا يمكنها أن تفعل أرأيت لو مرض طفلها ونزلت به الآلام ما الذي يمكنها أن تصنعه؟! كل هذه الهواجس قد تقفز إلى القلب لتثبطه وتخذله عن الاستسلام لحكم الله، أما من كان قلبه عامرًا بالإيمان؛ فلن يجد إلا الإذعان والتسليم لأمر الله طاعة له وثقة فإنه لا يضيع عباده ولا يغفل عن نصرتهم وحفظهم أبدًا ولله في خلقه حكم تعجز عن إدراكها الأفهام، ومن المحن تأتي المنح، وبعد الشدة والبلاء تكون الكرامة من الله لعبده، وقد بقي ذكر هاجر خالدًا وبقي موقفها العظيم مؤثرًا في الأجيال وفجَّر الله لرضيعها عين زمزم المباركة التي جعلها الله طعام طعم، وشفاء سقم ويشرب منها ملايين الحجاج والمعتمرين على مر الزمان، وصارت مكة التي شهدت أرضها ذلك الحدث صارت أشرف بقعة على وجه الأرض، تهوي إليها أفئدة المؤمنين وتشتاق إلى البيت الذي فيها قلوب الصالحين.

توكل الصحابة:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟

(١) رواه البخاري برقم [٣٣٦٤].

حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.

[آل عمران: ١٧٢-١٧٥]

يذكر الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآيات ما يلي باختصار: هذا كان يوم حمراء الأسد وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم فلما استمروا في سيرهم تندموا لم لا تمّموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة، فلما بلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويريهم أن بهم قوة وجلدًا ولم يأذن لأحدٍ سوى من حضر الوقعة يوم أحد فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ الآية أي: الذين توعدهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الأعداء فما اكترثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾، ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ أي: لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم فرجعوا إلى بلدهم ﴿بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ مما أضمر لهم عدوهم ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وهذا أبو سليمان خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصدق في توكله على ربه لدرجة أن يشرب السم ثقة في الله وتوكلًا عليه فلم يضره السم كما عند أحمد في المسند بسند صحيح عن قيس قال: أُتي خالد بسم فقال: ما هذا؟ قال: سمٌّ فشربه.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير باختصار (١/ ٤٣٩-٤٤٠) ط. دار المعرفة.

obeikandi.com

وفي لفظ مرسل عن أبي السفر قال: نزل خالد بن الوليد الحيرة على أم المرازبة فقالوا له: احذر السم لا يسقيكه الأعاجم فقال: ائتوني به فأتي منه بشيءٍ فأخذه بيده ثم اقتحمه وقال: بسم الله فلم يضره شيئًا[١].

قال الإمام الذهبي تعليقًا على الأثر الأول قلت: هذه والله الكرامة وهذه والله الشجاعة[٢].

وهذا عمران بن الحصين الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يترك الكي توكلًا على الله فتسلم عليه الملائكة وهو على فراش مرضه، فلما اكتوى تركت الملائكة السلام عليه ولما ترك الكي عادت الملائكة تسلم عليه وكان هذا آخر أمره وتلك والله هي الكرامة، روى مسلم عن مطرف بن عبد الله قال: قال لي عمران بن الحصين أحدثك حديثًا عسى الله أن ينفعك به إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع بين حجة وعمرة، ثم لم ينه عنه حتى مات، ولم ينزل فيه قرآن يحميه، وقد كان يُسلِّم عليَّ حتى اكتويت فتركتُ ثم تركت الكي فعاد، وفي لفظ آخر عن مطرف قال: بعث إليَّ عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه فقال: إني كنت محدثك بأحاديث لعل الله أن ينفعك بها بعدي فإن عشت فاكتم عني وإن مت فحدث بها إن شئت، إنه قد سُلِّم عليَّ واعلم أن نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جمع بين حج وعمرة، ثم لم ينزل فيها كتاب الله ولم ينه عنها نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال رجل فيها برأيه ما شاء[٣].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى الحديث أن عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت به بواسير فكان يصبر على المهمات، وكانت الملائكة تسلم عليه، فاكتوى فانقطع سلامهم عليه ثم ترك الكي فعاد سلامهم عليه، وأما قوله «فإن عشت فاكتم عني» أراد به الإخبار

---

(١) «الصحيح المسند في فضائل الصحابة» ص [٤٢٠] وقد صحح الشيخ مصطفى اللفظ الأول وحكم على الثاني بأنه منقطع الإسناد.

(٢) «السير للذهبي» (٣/ ٢٢٤)، ط. التوفيقية.

(٣) كلا اللفظين رواهما مسلم برقم [١٢٢٦]، وانظر «صحيح البخاري» حديث رقم [٤٥١٨].

بالسلام عليه؛ لأنه كره أن يشاع ذلك عنه في حياته لما فيه من التعرض للفتنة بخلاف ما بعد الموت[١].

وقال ابن سيرين: سقى بطن عمران بن حصين ثلاثين سنة كل ذلك يعرض عليه الكي فيأبى حتى كان قبل موته بسنتين فاكتوى وعن مطرف قال: قلت لعمران: ما يمنعني من عيادتك إلا ما أرى من حالك قال: فلا تفعل؛ فإن أحبه إليَّ أحبه إلى الله[٢].

توكل يأتي بمعجزة:

هذا عبد من عباد الله أقيم مثلًا وقدوة في صدق التوكل واللجوء إلى الله جَلَّجَلَالُهُ، ويحدث الله معجزة يراها الناس ويذعنون لها ويبرأ بها المؤمن التقي من تهمة ألصقت به حيث ينطق الله الرضيع؛ ليشهد بالحق ليكون ذلك آية ودلالة على أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يضيع من توكل عليه وتضرع بين يديه والحديث في ذلك رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كان جريج رجلًا عابدًا، فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج! فقال: يارب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته، فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج! فقال: يارب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج فقال: أي رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه الموسات فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته، وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقال: إن شئتم لأفتننه لكم، قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال: أين الصبي؟ فجاءوا به فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام**

---

(١) «شرح النووي» على مسلم باختصار (٤/ ٤٦٦)، ط. دار الحديث.

(٢) «السير للذهبي» (٤/ ١١٥)، ط. التوفيقية.

مـن أبـوك؟ قال: فلان الراعي، قـال: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسـحون به وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب قال: لا أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا»[(١)]، وفي هذا الحديث دلالة ظاهـرة على أن الله تعالى يفرج الشـدائد عن المؤمنين لاسـيما إذا صدقـوا في توكلهم عليه ودعائهـم إياه سـبحانه وبحمده، هذا وقد خطر لي وأنا اكتب هذا الحديث أن أسـتخرج منه الفوائد النافعة ولكن وجدت ذلك سـيطول جدًا وذلك لغزارة ما فيه من فوائد ومن ناحية أخرى ليسـت الفوائد هي المقصودة في هذا الصدد وإنما ذكرته شـاهدًا على صدق الاعتماد والتوكل على الله تعالى.

صور من توكل السلف

هذا هو الإمام عفان بن مسلم عليه رحمة الله يقول: دعاني إسحاق بن إبراهيم، فلما دخلـت عليـه قرأ الكتاب الذي كتبه المأمون من أرض الجزيـرة إلى الرقة فإذا فيه: امتحن عفان وادعه إلى أن يقول القرآن كذا وكذا «أي مخلوق» فإن قال ذلك فأقره على أمره وإن لم يجبك فاقطع عنه الذي يجري عليه، وكان المأمون يجري عليه في كل شهر خمسمائة درهم قـال عفان: فلما قرأ عليَّ الكتاب قـال لي: ما تقول؟ فقرأت عليه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها وقلت: أمخلوق هذا؟! فقال لي إسحاق: إن أمير المؤمنين أمر إن لم تجبه يقطع عنك مـا يجري عليـك وإن قطع عنك أمير المؤمنـين قطعنا نحن عنك أيضًـا فقلت له: قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، فسكت عني إسحاق وانصرف يقول: فلما رجع إلى داره عذله أهل بيته وكانوا أربعين نفسًـا، وبعد قليل دق عليه الباب إنسـان فدخـل ومعه كيس فيه ألف درهم فقال: يـا أبا عثمان ثبتك الله كما ثبت الدين، وهذا لك في كل شهر[(٢)].

---

(١) رواه البخاري برقم [٣٤٣٦]، ومسلم برقم [٢٥٥٠].

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٤٢)، «الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل» ص [١١٤]، ط. دار هجر.

obeikandl.com

قال أبو وائل شقيق بن سلمة: خرجنا في ليلة مخوفة فمررنا بأجمة[١] فيها رجل نائم، وقيد فرسه فهي ترعى عند رأسه فأيقظناه فقلنا له: تنام في مثل هذا المكان؟ قال فرفع رأسه فقال: إني أستحيي من ذي العرش أن يعلم أني أخاف شيئًا دونه[٢].

قال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت ضيفًا عند قوم فقدموا مائدة فنزل غراب واختطف رغيفًا وطار به، قال: فتعجبت من حاله وتبعته، فإذا برجل مقيد مأسور قد شُدَّتْ يداه، فألقى الغراب الرغيف عند وجهه وجعل يأكل منه[٣].

وقال علي بن بكار شكا رجل إلى إبراهيم بن أدهم كثرة عياله فقال له إبراهيم: يا أخي، انظر كل من كان في منزلك ليس رزقه على الله فحوله إلى منزلي.

قيل لحاتم الأصم: علام بنيت أمرك في التوكل؟ قال: على خصال أربعة: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي، وعلمتُ أن عملي لا يعمله غيري فأنا به مشغول، وعلمتُ أن الموت يأتي بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله فأنا مستح منه[٤].

قال مالك: استعمل زيد بن أسلم على معدن بني سليم وكان معذرًا لا يزال يصاب فيه الناس من قبل الجن فلما وليهم شكوا ذلك إليه فأمرهم بالأذان أن يؤذنوا ويرفعوا أصواتهم ففعلوا فارتفع ذلك عنهم حتى اليوم قال مالك: أعجبني ذلك مشورة زيد بن أسلم[٥].

---

(١) الأجمة الشجر الكثير الملتف.

(٢) «الزهد» لهناد (١/ ٣٠٦) وقال محققه: سنده صحيح.

(٣) «جنة الرضا» للغرناطي (١/ ٢٤٥).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٤٨٥)، ط. الرسالة.

(٥) المصدر السابق (٥/ ٣١٧).

obeikandl.com

قال أبو العباس السراج: عن الكديمي قال: لما دخل أبو نعيم على الوالي ليمتحنه وثم يونس وأبو غسان وغيرهما فأول من امتحن فلان فأجاب، ثم عطف على أبي نعيم فقال: قد أجاب هذا، فما تقول؟ قال: والله مازلت أتهم جده بالزندقة ولقد أخبرني يونس بن بكير أنه سمع جده يقول: لا بأس أن يرمى الجمرة بالقواريـر، أدركت الكوفة وبها أكثر من سبعمائة شيخ الأعمش فمن دونه يقولون القرآن كلام الله فقبل رأسه -وكان بينهما شحناء- وقال: جزاك الله من شيخ خيرًا[1].

وقد حدثني بعض الإخوة حالفًا بالله على صدق ما يقول قال: إنه كان في سفر إلى العمرة وقد تخلف من أجل أن يعمل هنالك ليحصل مالًا يستعين به على نفقات زواجه قال: وبينما نحن نعمل في مكانٍ إذ داهمتنا شرطة الجوازات، ومن المعلوم أنها تقوم بترحيل أمثالي إلى بلده فورًا يقول فأسرعت واختبأت في مكان وجعلت أدعو الله بإلحاح أن ينجيني وأن يعمي أبصارهم عني قال فجاءوا وجعلوا يفتشون ويبحثون ووصل إليَّ واحد منهم ونظر فعلًا إليَّ ووالله وقعت عيني في عينه وجعلت أقرأ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩]. قال وتأكدت أنه رآني وانتظرت أن يمسك بي ولكن سبحان الله وجدته قد التفت وقال لزملائه: ليس ثمة أحد هنا ثم انصرف.

التوكل في واقع الحياة

إن التوكل عبادة لازمة واجبة على العبد في كل مشهد من مشاهد حياته ،فلا صلاح ولا نجاح له إلا بتوكله على الله؛ لأن التوكل مفتاح التوفيق، وسبيل السداد وداعية الحفظ والرعاية من الله لعبده، وليس التوكل في العبادة وأمور الدين فحسب، بل إنه يشمل كل عمل ديني أو دنيوي ومن هذه المقامات التي لابد فيها من التوكل طلب الرزق قال الله

(١) المصدر السابق (١٠/ ١٤٩).

تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧]. فالله هو الذي يملك الرزق وحده، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

ومنها: التوكل على الله في طلب النصر وحصول الفرج قال الله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. فمن نصره الله فهو المنصور، ومن خذله فهو المخذول وما استجلب نصر الله بمثل الاعتصام به والتوكل عليه، فالله جَلَّجَلَالُهُ هو خير الناصرين، ومن عصمه الله فلن يستطيع الخلق أجمعون أن ينالوا منه شيئًا قال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨].

ومنها: التوكل على الله في طلب الصلح والإصلاح بين الناس، وتلك عبادة وقربة يستجلب بها العبد الأجر العظيم من ربه قال الله تعالى: ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ١١٤]. ونفوس الناس شديدة النفرة عند التنازع والاختلاف ولذا يحتاج المصلح بينهما إلى توفيق الله له وعونه وتسديده يحتاج أن يستعين بالله وأن يتوكل عليه في الإصلاح.

ومنها: التوكل على الله في مقام الدعوة، وأحق وأوجب ما يطلب فيه التوكل دعوة الناس إلى الله ودلالتهم عليه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وذلك هو حال الأنبياء جميعًا كما سبقت الإشارة إليه، والداعية إلى الله هو وريث الأنبياء يجد ما وجدوه من تكذيب وإعراض وسخرية واستهزاء، يجد من الناس صدودًا وانصرافًا وعزوفًا بل يجد من يجابهه ويحاربه في دعوته، وحينئذٍ فليس أمامه إلى تفويض أمره إلى الله وتوكله

عليه سبحانه قال الله لرسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٩]. فليتوكل الداعية على ربه في إعداد ما يواجه به الناس وفي الصبر على أذاهم، وفي تعليمهم ونصحهم.

ومنها: التوكل على الله تعالى في مقام الطاعة والعبادة، ولن توفق للاستقامة على الطاعة والثبات عليها إلا بالتوكل، ولن تستطيع أن تُتم عبادة وتستمر عليها إلا إذا أعانك الله ووفقك قال ربنا جل وعلا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥]. فالعبادة هي الغاية التي خلق الناس من أجلها والاستعانة وسيلة إليها والعبادة -كما يقول ابن القيم- محفوفة بإعانتين: إعانة قبلها على التزامها والقيام بها، وإعانة بعدها على عبودية أخرى، وهكذا أبدًا حتى يقضي العبد نحبه، ثم يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: الناس في هذين الأصلين -وهما العبادة والاستعانة- أربعة أقسام أجلها وأفضلها: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها، ولهذا كان من أفضل ما يسأل الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى الإعانة على مرضاته، وهو الذي علمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «**يا معاذ، والله إني لأحبك فلا تنسى أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[(١)]، فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب وجميع الأدعية المأثورة مرادها على هذا وعلى دفع ما يضاده وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: تأملتُ أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته ثم رأيته في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥][(٢)].

---

(١) رواه أبو داود برقم [١٥٢٤]، والنسائي برقم [١٣٠٣]، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» برقم [١٥٩٦].

(٢) رواه أبو داود برقم [١٥٢٤]، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» برقم [١٥٩٦].

ومن مقامات التوكل التي يلزم كل مسلم أن يأخذ به فيها: التوكل على الله في دفع كيد الشيطان والتخلص من رق الذنوب والمعاصي، فكم من أسير أسرته الخطايا وأغرقته الموبقات، وسقط في شرك الشيطان وشره، وزين له إبليس سوء عمله، ولن يستطيع أن يتخلص من هذا الرق الجاثم على صدره وهذا الكيد المحيط به إلا بصدق التوكل على الله والاستعانة به سبحانه ولذا قال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٩]. فهيا توكل على الله في التوبة إليه والإنابة إليه ودفع كيد الشيطان الذي لا يغفل قط عن المكر بك، ولا يهدأ قط عن إغوائك وإضلالك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦].

ومنها: التوكل على الله في الحكم والقضاء، فإن الإنسان إذا أراد أن يفصل في قضية وأن يحكم فيها بالحق والعدل لا بد أن يستعين بالله حتى يسدد ويوفق، وهذا السداد لا يستجلب ولا يكون إلا بالتوكل على الله في إصدار الأحكام؛ لأن المرء قد تعتريه أمور تصده عن الحكم بالحق فيضل ويقع في الظلم ويستحق الوعيد الشديد، ولذا فعليك بالتوكل تسلم وتعصم قال الله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٠].

ومنها: التوكل على الله في مجاهدة الأعداء وقتالهم قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢١-١٢٢]. إنه مع وجوب الأخذ بالأسباب المتاحة كلها وإعداد العدة الكافية لمقاتلة الأعداء ،فإنه لابد من توكل القلوب على الله وثقتها في نصره وتأييده وأن الله معهم يمدهم بعونه، ويحفظهم بحفظه ويسدد

رميهم، ويخذل أعداءهم حتى وإن بدر صلح فلابد من التوكل على الله في إبرام عقود هذا الصلح؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

[الأنفال: ٦١]

ومنها: التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ في إجراء العقود من بيع وشراء وإجارة وزواج وغير ذلك من المعاملات وشاهد ذلك ما وقع من كليم الله موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما اتفق مع الرجل الصالح على أن يزوجه ابنته في مقابل أن يعمل عنده أجيرًا ثماني سنوات أو عشر إن أراد موسى أن يتمها عشرًا قال الله تعالى عن هذا الرجل الصالح: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٧-٢٨].

وفي كل عمل ينبغي أن تتوكل فيه على الله، في حفظ القرآن، في تعلم العلم، في تربية الأولاد، في إصلاح الخلق والنفس، في تطهير القلب وتزكية النفس، في عملك الدنيوي ووظيفتك التي تقتات بسببها في كل ذلك وغيره لابد أن تتوكل على ربك جَلَّ جَلَالُهُ يقول ابن القيم عليه رحمة الله: ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل من مكانه وكان مأمورًا بإزالته لأزاله[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله: الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجأ إليه والدعاء له هي التي تقوِّي العبد وتيسِّر عليه الأمور، ولهذا قال بعض السلف: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله[(٢)].

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٨١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٨٩) ط. العبيكان.

أنواع التوكل

التوكل على الله نوعان: أحدهما توكل عليه في حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية. ثانيها: التوكل عليه في حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه.

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله فمتى توكل العبد عليه في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضًا لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم.

والتوكل تارة يكون توكل اضطرار وإلجاء بحيث لا يجد العبد ملجأ ولا وَزَرًا إلا التوكل، كما إذا ضاقت عليه الأسباب وضاقت عليه نفسه وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وهذا لا يتخلف عنه الفرج والتيسير ألبتة.

وتارة يكون توكل اختيار وذلك التوكل مع وجود السبب المفضي إلى المراد فإن كان السبب مأمورًا به ذم على تركه، وإن قام بالسبب وترك التوكل ذم على تركه أيضًا، فإنه واجب باتفاق الأمة ونص القرآن والواجب القيام بهما والجمع بينهما، وإن كان السبب محرمًا حرم عليه مباشرته وتوحد السبب في حقه في التوكل، فلم يبق سبب سواه، فإن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه، بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق[1].

---

(١) «الفوائد» لابن القيم ص [١٠٦].

معنى لا حول ولا قوة إلا بالله

اعلم أولًا أن هذه الكلمة كنز من كنوز الجنة فينبغي أن يحرص المؤمن دومًا على قولها وقد ورد في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أبا موسى أو يا عبد الله، ألا أدلك على كنز من كنور الجنة قلت: بلى قال: لا حول ولا قوة إلا بالله**»[(١)]. وأما معنى هذه الكلمة العظيمة وهذا الذكر الكريم فقد قال الحافظ ابن حجر عليه رحمة الله: معنى لا حول لا تحويل للعبد عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة له على طاعة الله إلا بتوفيق الله، وقيل: معنى لا حول لاحيلة؛ وقال النووي: هي كلمة استسلام وتفويض وأن العبد لا يملك من أمره شيئًا، وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى[(٢)]. وقال القاضي عياض: هذه كلمة استسلام وتفويض واعتراف بالعجز وأن العبد لا يملك مع الله شيئًا ولا يملك من دونه كما قال أهل اللغة معنى لا حول لاحيلة يقال: ما للرجل حيلة ولا حول ولا احتيال، وقيل: الحول الحركة أي لا حركة ولا استطاعة إلا بالله قال ابن مسعود: لا حول عن المعصية إلا بعصمة الله ولا قوة على الطاعة إلا بعون الله، ومعنى كنز من الجنة أي ثواب مدخر وثواب مخبأ ظاهره لقائلها، وقيل: بل لمن اتصف بذلك وتبرأ من حوله وقوته وفوض أمره إلى الله تعالى[(٣)].

---

(١) رواه البخاري برقم [٦٤٠٩]، ومسلم برقم [٢٧٠٤].

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٥٠٩) ط. دار الريان.

(٣) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٨/ ٢٠٠) ط. دار الوفاء.

obeikandl.com

ما ينافي التوكل

١- عدم الأخذ بالأسباب:

لقد جعل الله لكل غاية سببًا يتوصل به إليها فمن أخذ به وتوكل على الله حصل ما يريد ومن عطل الأخذ بالأسباب وادعى بأنه متوكل فقد أساء فهم التوكل وخالف هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أراد حصول الرزق، فلابد أن يسعى في تحصيله ومن أراد أن يسافر إلى مكان بعيد فلا بد أن يتزود لسفره روى البخاري عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧][(١)].

ولما جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله! أأعقلها وأتوكل أم أطلقها وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل»[(٢)]. الأخذ بالأسباب واجب والطعن في الأسباب طعن في الشرع، والأسباب لا تؤثر بذاتها فإن الاعتقاد في الأسباب شرك، فخذ بها متوكلًا على الله ولا تعلق قلبك بها بل علق قلبك بالله وحده.

٢- التشاؤم والطيرة:

والتطير هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم كمن يتشاءم من رقم معين أو طريق معين أو شخص معين أو ساعة معينة كمن يدعي أن في يوم الجمعة ساعة نحس وكمن يتشاءم بصوت الغراب أو البومة قال الحافظ ابن حجر عليه رحمة الله: وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمرٍ فإن رأي الطير طار يمنة تيمن به واستمر وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها فجاء الشرع بالنهي عن ذلك قال: وقد كان بعض عقلاء الجاهلية ينكر التطير ويتمدح بتركه قال شاعر منهم:

---

(١) رواه البخاري برقم [١٥٢٣].

(٢) رواه الترمذي برقم [٢٥١٧]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٠٦٨].

ولقد غدوت وكنت لا ... أغدو على واقٍ وحاتم
فإذا الأشائم كالأيا ... من والأيامن كالأشائم

وقال آخر:

الزجر والطير والكهان كلهم ... مضللون ودون الغيب أقفال[1]

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل**» قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**»[2].

واعلم أن التطير ينافي التوحيد من وجهين الأول- أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غير الله، والثاني- أنه تعلق بأمرٍ لا حقيقة له، بل هو وهم وتخييل فأي رابطة بين هذا الأمر وبين ما يحصل له وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد؛ لأن التوحيد عبادة واستعانة والمتطير لا يخلو من حالين؛ الأول- أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل وهذا من أعظم التطير والتشاؤم. الثاني- أن يمضي لكن في قلق وهم وغم يخشى من تأثير هذا المتطير به وهذا أهون وكلا الأمرين نقص في التوحيد وضرر على العبيد، بل انطلق إلى ما تريد بانشراح صدر وتيسير واعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ ولا تسيئ الظن بالله عَزَّوَجَلَّ[3].

وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**» قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «**أن يقول اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك**»[4]؛ تضمن الحديث أن الطيرة لا تضر من كرهها ومضى في طريقه، وأما من

(١) «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر (١٠/ ٢٢٣) ط. الريان.
(٢) رواه البخاري برقم [٥٧٥٥]، ومسلم برقم [٢٢٢٤].
(٣) «القول المفيد بشرح كتاب التوحيد» لابن عثيمين ص [٣٥٨] ط. دار ابن الجوزي.
(٤) رواه أحمد (٢/ ٢٢٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم [٢٩٣] وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [١٠٦٥].

obeikandl.com

لم يخلص توكله على الله واسترسل مع الشيطان في ذلك فقد يعاقب بالوقوع فيما يكره لأنه أعرض عن واجب الإيمان بالله وأن الخير كله بيده، فهو الذي يجلبه لعبده بمشيئته وإرادته، وهو الذي يدفع عنه الضر وحده بقدرته ولطفه وإحسانه، فلا خير إلا منه[١].

ومن صور هذا التطير المنهي عنها أن العرب كانوا يتشاءمون إذا وقفت البومة على بيت أحدهم يقول: نعت إليَّ نفسي أو أحدًا من أهل داري ومن ذلك من يتشاءم بشهر صفر ويوم الأربعاء وشهر شوال. ومما يجب الحذر منه ما انتشر بين الناس في هذه الأيام كاعتقاد بعضهم إذا وجد روث طائر على ثيابه بأنه سيكسى، وإذا وجد إحدى نعليه ركبت الأخرى أنه سيسافر، وإذا وجد حركة في عينه قال إنه سيرى أحدًا، وقد كان السلف ينكرون هذا التطير أشد الإنكار؛ فعن عكرمة قال: كنا جلوسًا عند ابن عباس فمرَّ طائر يصيح فقال رجل من القوم: خير خير فقال ابن عباس: لا خير ولا شر، فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر[٢].

ولما جاء أحد المنجمين لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو خارج لقتال البغاة قال: هنا الآن نوء العقرب إذا خرجت يا علي فسوف تخسر وتهزم فلم يبال علي وخرج ثقة بالله وتوكلًا عليه، فكتب الله له النصرة والغلبة والخير والبركة.

٣- تعلق القلب بغير الله:

كمن يعتمد على شخص في رزقه ومعاشه ويثق به ثقة تامة ويعمل لكي يرضيه ويتجنب سخطه بكل سبيل ويتذلل له وينكسر أمامه ولسان حاله ومقاله: فلان هذا ولي نعمتي، الله لي في السماء وهذا لي في الأرض، وترى مثل هذا مخذولًا عن اللجأ إلى الله والتوكل عليه والثقة بما عنده وكل من تعلق بشيءٍ غير الله وكل إليه وعذب به ولابد.

---

(١) «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد» ص [٢٧٤]ط مؤسسة الريان.

(٢) البيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٦)، وسنده صحيح كما في «صحيح فقه السنة» (٤/ ١٥٩).

والتعلق بغير الله على أقسام **الأول-** ما ينافي التوحيد من أصله وهو أن يتعلق بشيءٍ لا يمكن أن يكون له تأثير، ويعتمد عليه اعتمادًا معرضًا عن الله مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب ولهذا إذا مستهم الضراء الشديدة يقولون: يا فلان أنقذنا فهذا لا شك أنه شرك أكبر مخرج من الملة.

والثاني- ما ينافي كمال التوحيد وهو أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع الغفلة عن المسبب وهو الله عَزَّوَجَلَّ وعدم صرف قلبه إليه. فهذا نوع من الشرك ولا نقول شرك أكبر؛ لأن هذا السبب جعله الله سببًا.

والثالث- أن يتعلق بالسبب تعليقًا مجردًا لكونه سبب فقط مع اعتماده الأصلي على الله فيعتقد أن هذا السبب من الله وأن الله لو شاء لأبطل أثره ولو شاء لأبقاه، وأنه لا أثر للسبب إلا بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ فهذا لا ينافي التوحيد لا كمالًا ولا أصلًا وعلى هذا لا إثم فيه[1]. فواجب على المسلم ألا يعلق قلبه بالأسباب بل يعلق قلبه بالله وحده سبحانه وبحمده[2].

٤- الذهاب إلى العرافين والسحرة:

إذا ابتلي عبد بمس أو سحر فالواجب عليه أن يصبر وأن يلتمس شفاءه فيما أحله الله عَزَّوَجَلَّ وأذن فيه أما أن يفزع إلى السحرة والدجالين يسألهم كشف الضر أو جلب نفع أو سؤال عن غيب فهذا مما ينافي الإيمان ويناقض الحق فلا يعلم الغيب إلا الله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]. قال ابن الجوزي: عالم الغيب هو الله عَزَّوَجَلَّ وحده لا شريك له في ملكه فلا يظهر أي: فلا يطلع على غيبه الذي لا

---

(١) «القول المفيد» ص [١١٩].

(٢) في النية إصدار كتاب بعنوان «الدرة المنتقاة في تعلق القلب بالله».

يعلمه أحد من الناس ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ لأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب، والمعنى إن ممن ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب ففي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم[١].

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»[٢].

وفي الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلى بنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الصبح في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب؛ وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب**»[٣].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أتى عرافًا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**»[٤].

٥- تعليق التمائم:

والتمائم جمع تميمة وهي شيء يعلق على الإنسان ليتم به دفع العين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شركٌ**»[٥]، والرقى هنا هي الرقى الشركية قال السيوطي: أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع

---

(١) «زاد المسير في علم التفسير» (٨/ ٣٨٥).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٦٣٩].

(٣) رواه البخاري برقم [٨٤٦]، ومسلم برقم [٧١].

(٤) رواه مسلم برقم [٢٢٣٠].

(٥) رواه أحمد (١/ ٣٨١)، وأبو داود برقم [٣٧٣٤]، وابن ماجه برقم [٣٥٣٠]، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [٣٣١].

openkandil.com

ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي وما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى[١].

وفي المسند عن عقبة بن عامر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من تعلق تميمة فقد أشرك»[٢]، قال المنذري: خرزة كانوا يعلقونها يرون أنها تدفع عنهم الآفات وهذا جهل وضلالة؛ إذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى.

وقال أبو السعادات بن الأثير: التمائم جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام.

ومن هذه التمائم التي ينهى عنها ما يعرف بالخمسة وخميسة، وصورة الكف لدفع الحسد أو تعليق نعل قديم أو خرزة زرقاء أو حدوة حصان ووضع الأحجبة وما يشبه ذلك إذا أريد به دفع العين ومنع الحسد كل هذا ينهى عنه ولا يجوز تعليقه بحال وهو مما ينافي التوحيد والتوكل.

التوكل على الله حق التوكل

قال ابن القيم: من ترك الاختيار والتدبير في رجاء زيادة أو خوف نقصان أو صحة أو فرار من سقم وعلم أن الله على كل شيءٍ قدير وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير، وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وأنه أعلم بمصلحته من العبد وأقدر على جلبها وتحصيلها منه وأنصح للعبد لنفسه وأرحم به منه بنفسه وأبر به منه بنفسه وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة، فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره ولا متأخر، فألقى نفسه بين يديه، وسلم الأمر كله إليه، وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر

(١) نقلًا عن «فتح المجيد» (١/ ٢٤٩).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٤/ ٢١٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [٤٩٢].

obeikandl.com

لـه التـصرف في عبده بما يشـاء، وليـس للعبد التصرف فيـه بوجه من الوجوه، فاسـتراح حينئذٍ من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات وحمل كل حوائجه ومصالحه من لا يبالي بحملهـا ولا يثقلـه ولا يكترث بها، فتولاها دونه وأراه لطفه وبره ورحمته وإحسـانه فيها مـن غـير تعب من العبـد ولا نصب ولا اهتمام منه؛ لأنه صرف اهتمامـه كله إليه، وجعله وحـده همـه فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه وفرغ قلبه منها فما أطيب عيشـه وما أنعم قلبه وما أعظم سروره وفرحه، ومن أبى إلا تدبيره لنفسه واختياره لها واهتمامه بحظه دون حق ربه؛ خلاه وما اختاره وولاه ما تولى، فحضره الهم والغم والحزن والنكد والخوف والتعب وكسـف البال وسـوء الحال، فلا قلب يصفو ولا عمل يزكو، ولا أمل يحصـل ولا راحـة يفوز بها، ولا لذة يتهنى بها، بل قـد حيل بينه وبين مسرته وفرحه وقرة عينـه، فهـو يكدح في الدنيا كدح الوحش ولا يظفر منهـا بأمل ولا يتزود منها لمعاد، والله سبحانه قد أمر عبده بأمر وضمن له ضمانًا، فإن قام بأمره بالنصح والصدق والإخلاص والاجتهاد قام الله سـبحانه له بما ضمنه من الرزق والكفاية والنصر وقضاء الحوائج فإنه سبحانه ضمن الرزق لمن عبده والنصر لمن توكل عليه واستنصر به، والكفاية لمن كان هو همـه ومراده، والمغفرة لمن اسـتغفره، وقضاء الحوائج لمـن صدقه في طلبها ووثق به وقوى رجاءه وطمعه في فضله وجوده، فالفطن الكيس إنما يهتم بأمره وإقامته وتوفيقه لا بضمانه فإنه الوفي الصادق ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]. فمن علامات السعادة صرف اهتمامه إلى أمر الله دون ضمانه، ومن علامات الحرمان فراغ قلبه من الاهتمام بأمره وحبه وخشيته والاهتمام بضمانه والله المستعان[1].

(١) «الفوائد» [١٣٦-١٣٧] ط. دار إحياء الكتب العربية.

سبل زيادة التوكل

التوكل -إخوتاه- من الإيمان ينمو بنمائه ويزيد بزيادته وكل ما كان سبيلًا لزيادة الإيمان فهو من عوامل زيادة التوكل ورسوخه في القلب والموفق من وفقه الله والسعيد من اصطفاه واجتباه وألهمه ما يكون سبيلًا لمحبته ورضاه، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد ما يلي:

١- معرفة الأسماء والصفات والتعبد لله بها:

على قدر اليقين في كمال صفات الله ومعرفة معانيها والتعبد لله بها يكون التوكل، فمن أيقن بأن الله هو الغني الكريم الملك الحي القيوم الذي لا يعجزه شيء، ولا يقع في كونه أمر إلا بإذنه وتدبيره، وأن خزائن رزقه مملوءة لا تنفد، وأن نعمه كثيرة عظيمة لا تحد ولا تحصى، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]. وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٣]. كل من وثق في عظمة الله وقدرته وقوته وحكمته توكل عليه ولابد وكما ازداد علمه ويقينه بذلك ازداد توكله على ربه وتفويضه الأمر إليه جَلَّجَلَالُهُ قال الإمام ابن القيم عليه رحمة الله: التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها فأول ذلك معرفة الرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل[1] كل من كان بصفات الله وأسمائه أعرف؛ كان توكله أصح وأقوى فتعلم صفات ربك من كلامه، طالع صفات الله في عظمة تدبيره وفي التفكر فيما حولك، فالله هو الغني القوي، الله هو العظيم الكريم، الله هو العزيز الحكيم فسلِّم أمرك إليه وفوض الأمور كلها له، واصدق في التوكل عليه، أوليس الله بقادر على أن يكفيك

(١) «تهذيب مدارج السالكين» ص [٣٣٧] ط. المكتبة القيمة.

ويحميك؟! أو ليس الله بقادر على أن ينصرك ويعليك؟! أوليس الله بقادر على أن يعافيك ويشفيك؟! احذر أن يرى الله في قلبك التفاتًا إلى غيره أو ثقة في سواه، بل أحسن الظن بربك وتوكل في كل الأمور عليه.

لا يأس يسكننا فإن كبر الأسى ... وطغى فإن يقين قلبي أكبرُ
بمنهج الرحمن أمن مخاوفي ... وإليه في ليل الشدائد نجأرُ

إن الذي يملك النفع والضر وحده هو الله فكيف يلجأ إلى غيره، وكيف يلتفت عبد إلى غير ربه ومولاه قال ربنا: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يُونُس: ١٠٦-١٠٧]. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ [فَاطِر: ١٣]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النَّمل: ٦٢].

٢- النظر في سير الصالحين:

النفوس طبعت على التأسي ومن أهم الوسائل التربوية الكريمة النظر في سير المتقين ومطالعة أحوالهم في حسن توكلهم على الله عَزَّوَجَلَّ لاسيما سيرة الأنبياء والرسل الذين هم أكمل الخلق عبودية لله وأقومهم بأمره وأعرفهم بدينه لذا فهم القدوة الكريمة والأسوة العظيمة التي يطالعها المسلم في طريق سيره إلى ربه فيأنس بها ويعتبر بما كان فيها قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يُوسُف: ١١١]. وبعد أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الأنعام ثمانية عشر نبيًا قال لرسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته تبع له في ذلك: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠]. التأمل في سيرة الأنبياء والوقوف على ما كان في حياتهم من صبر وثبات وتضحية وجهاد، وثقة ويقين

يبعث في النفس التأسي بهم ويرسخ التوكل في القلب، ومن أهم الأمور في ذلك دراسة السيرة النبوية الكريمة والوقوف على مواطن العبرة فيها، واستخراج الدروس المستفادة منها فهي أصدق صورة للعبودية لله عَزَّوَجَلَّ وأعظم أسوة يجدها المرء في سيرة الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومن بعد ذلك النظر في سيرة الصحابة وفتوحاتهم ونشرهم للدعوة والدين وثباتهم في كل موطن حتى أعز الله بهم دينه وقاموا بالحق خير قيام، وفي حياة السلف من بعدهم تجد كذلك العظة والعبرة فانظر في كتب التراجم والتاريخ أو في الكتب التي تعنى بطرح مثل هذه القضايا الإيمانية المهمة.

٣- التضرع والدعاء:

من أكرم النعم وأنفعها أن يمن الله على عبده بالإيمان ومعانيه العظيمة، والله تعالى رحيم كريم يُحبُّ أن يسأل، ويحب أن يُنعم وأن يرزق؛ لذا تذلل لربك في كل سجدة، وفي كل صلاة وفي كل آن أن يرزقك الله حسن التوكل عليه، وألحَّ على الله في السؤال حتى تجد أن التوكل صار شعار حياتك وأصلها فإذا أحسست بتلك النعمة واستشعرت بحصول هذه المنة سل الله أن يثبتك عليها واصدق الله يصدقك واستعن بالله يعنك وتوكل على الله يكفك والله المستعان وإليه الملتجأ وإليه المشتكى ولا حول ولا قوة إلا به.

❁ ❁ ❁

obeikandl.com